حفل حفل تكريمي لمناسبة انتهاء خدمة الدكتور طوبيا زخيا

اقيم في جامعة القديس يوسف حفل تكريمي لمناسبة انتهاء خدمة الدكتور طوبيا زخيا، مدير معهد الادارة الصحية والرعاية الاجتماعية في الجامعة، كما كانت مناسبة ايضاً لتسليم الشهادات الجامعية والافادات للدفعتين الرابعة والخامسة لترميز المعلومات الصحية.
حضر الاحتفال رئيس الجامعة البروفسور رينيه شاموسي، المدير العام لوزارة الصحة الدكتور وليد عمّار، المدير العام لشركة "Med Net" منير خرما، وحشد من الجسم الطبي والجامعة واهل الطلبة.

وقال البروفسور رينيه شاموسي في كلمة له :

"السيد المدير،
سيداتي سادتي المتخرجين،

مهم هو هذا الحفل البسيط، فهو يشكّل تتويجاً لعمل الأشخاص الذين رغبوا في أن يدعموا تدريبهم الأول بالتخصص في ترميز المعلومات الصحية إلا أنّه يسمح لنا على وجه الخصوص أن نعبّر للدكتور زخيا الذي يترك الجامعة، عن إمتناننا له على ما قام به خلال السنوات العشر التي أمضاها رئيساً لمعهد الإدارة الصحية والرعاية الإجتماعية.
ويبدو لي أن إسم هذا المعهد يحمل دلالة كبيرة فبناء على طلب الأب دوكرويه أسّست هذا المعهد وشجعته ودافعت عنه بشدة وبشغف ويجب أن نعترف أن اماك بنا، نحن المسؤولون عن جامعة القديس يوسف، خاب أحياناً، فاتّهمتنا أننا لم ندرك جيداً أهمية عملك هذا. ويدلّ هذا الإسم على العزم الذي ميّزك في خلال مسيرتك. واعتقد أنني فهمت أنك عندما إخترت أن تكون الطبيب والاختصاصي في أمراض القلب أولاً، ليس على أمل أن تساهم في تقدّم العلم في هذا الميدان فحسب بل لتكون بشكل خاص في خدمة المرضى والفقراء بينهم ولتعمل على ما اعتبرته العنصر الأهم، وهو الصحة العامة. ففي هذا الإطار، من الممكن أن نفهم إلتزامك منذ العام ١٩٦٦ في الصندوق الوطني لضمان المرض للأجير في فرنسا وبشكل خاص في منطقة "إيل دو فرانس".
وفي الوقت نفسه، قبلت أن تصبح رئيس حركة الحياة المسيحية على المستوى العالمي أولاً وعلى مستوى فرنسا ثانياً. ولا يبدو هذان الإلتزامان، المهني من جهة والشخصي من جهة أخرى،

متعارضين. فهما يرمزان إلى الحرص الذي لطالما راودك في مسيرتك الخاصة على أن تبذل الجهود كافة لتحسين سياسات الصحة وتسمح بالتالي للكثير من الشعوب التي تواجه مشاكل في هذا الميدان أن تصمد وأن تتطبّب.

وقد وصلت إلى جامعتنا في العام ١٩٩٧ محمّلاً بهذا المخزون لتأسيس معهد الإدارة الصحية والرعاية الإجتماعية وهو معهد ضروري من وجهة نظرك بحيث من الممكن أن يغدو أداة قادرة على أن ترسي بشكل واضح سياسات الصحة في لبنان وأن تكشف عن المحاور الكبيرة في ما يتعلق بالأعمال التي يجري تطبيقها وتلك التي لا يجري تطبيقها وأن تنسّق خطوات الممارسين الأولى في ميدان الصحة العامة وأن تقدّم مكملات تدريب إلى مهنيي الصحة الذين التزموا في خدمة الدولة أو الجيش أو المرافق العامة والخاصة. وعرفت في هذا الإطار، أن تتعاون مع كلية إدارة الأعمال مثلا من أجل حيازة شهادة في إدارة الأعمال في ميدان الصحة ومع شركة "مدنت" أيضا للحصول على تدريبات موجهة على غرار تلك التي تهمنا اليوم ومع مؤسسات متعددة أخرى. ولم يكن عملك هنا سهلاً في حقل لا يستأثر دائما بانتباه الأشخاص. ولا يسعنا تسجيل أي مأخذ على هذا العمل نظراً إلى العوائق التي إعترضتك. وأود اليوم أن أشكرك.

كما أودّ أن أعبّر لك باسمي وباسم الجامعة عن إمتناني لأنّنا حاضرون اليوم وسط أشخاص افادوا من تدريبك. سيداتي سادتي المتخرجين، أودّ أن أهنّئكم جميعاً على العمل الذي أديتموه. لقد اصبحتم اليوم شهوداً في ميدان الصحة وممارسين قرّروا أن يسيروا على درب النوعية والكفاءة العالية. أعتقد أنه في هذه الأوقات العصيبة التي نختبرها، نشهد حدثاً مهما هنا.

أنهي كلمتي هذه بالتوجّه بالشكر مرة أخرى إلى الدكتور زخيا كما أشكر الأشخاص كافة الذين يتعاونون معه. فجميعكم أدّى عملاً رائعاً".

واعتبر الدكتور وليد عمار ان الدكتور طوبيا زخيا تمكن من خلال خدمته والتعليم والممارسة من اعطاء تغيير حقيقي في النظام الصحي، واداة هذا التغيير كان المراقب الصحي وصلة وصل ما بين صحة المريض والاموال التي تنفق عليه، وكل ذلك بهدف وضع سياسة صحية سليمة تضبط فيها النفقات بالتوافق مع الصحة العامة.

واشار الى ان 40% من مصاريف الصحة العامة تصرف على العلاجات الخارجية بما فيها الفحوصات المخبرية، و 25% على الادوية، بينما الخدمات الاستشفائية المضبوطة اكثر تمثل 24%.

وراى المدير العام لشركة "Med Net" منير خرما ان شهادة ترميز الخدمات الصحية تؤهل جميع العاملين في النظام الصحي على اتباع لغة واحدة موحدة مما يفعِّل العمل الاداري والتخطيط لسياسة صحية سليمة.

والقى المحتفى به الدكتور زخيا كلمة قال فيها :
"ايها الضيوف الاعزاء،

اسمحوا لي ان انادي كل واحد منكم، صديقي العزيز، لان حضوركم هو بمثابة دعم لاجتيازي مرحلة عشر سنوات من حياتي الى مرحلة اخرى نترك للمستقبل ان يحددها.
ان الثناء هبة لابد ان تعطي ثمارا:
يختار قائل الثناء القيم الفضلى التي يقدرها بالمثنى عليه. و يتحول هذا الثناء بالنسبة لصاحبه ورقة عمل للمستقبل.
لقد اخترتم لي طريق الارتفاع.
شكرا.
يستوجب علي ان اشكر الكثيرين منكم،
اني اشكركل واحد منكم بكثير من السعادة و العرفان بالجميل. يطول الحديث ان اردت ان اعدد الغنى الذي شاركني به كل واحد منكم و لكن اسمحوا لي ان اؤكد لكم نقلا عن رسام مشهور اني مصنوع من كل الاشخاص الذين التقيتهم.
اسمحوا لي ان انوه ببعض الاشخاص الذين من دونهم لم يكن هذا التفويض الذي نحتفل بانجازه اليوم: تاسيس معهد الادارة الصحية و الرعاية الاجتماعية.
ثلاث اشخاص رئيسيين هم مصدر هذا التفويض. تعريفونهم جيدا: عميدان متقاعدان الاب جان دوكرييه و الاب سليم عبو و العميد الحالي الاب رينيه شاموسي.
لم تكن هذه الابوة الثالوثية اليسوعية مصدر راحة، و لكنها كانت مثيرة و محفزة لي. كل واحد منهم شجعني ،على نهجه الخاص، لاتمام المهمة التي اوكلت الي.
هدف هذه المهمة يعود الى موضوع الصحة، و لكن اي صحة نعني: اهي الصحة العامة، ام السياسة الصحية، ام الصحة المجتمعية الخ...

وكما يقول الكاتب تيري غودان،- غالبا ما تكون ولادة اي مشروع غير محددة. ففي يوم يجد المشروع مؤسس، متصاب الراي، يعمل على التغلب على الصعوبات. هكذا يصبح للمشروع الحق لعدة شهادات ولادة، اقرارا بنجاحه و وجوده في المؤسسة.-

اذا، انطلاقا من خبرتي، استوجبني ان اجد نقاطا تطبيقية عملية ترد على الحاجات الصحية الخاصة بلبنان.

ان العاطفة الابوية للعمداء الثلاث منحتني الثقة. لقد تركوا لي حرية القيام بالعمل و باخذ بعض الخطوات الجريئة في قطاع مهمول و غير مكتشف: الصحة في ابعادها الطبية الادارية، الاجتماعية و الاقتصادية.

لاحقا، عدة اشخاص عملوا على مساندتي خلال عملي، اذكر منهم، نائب العميد الاداري الاب برونو سيبون الذي اطلعني على ثقافة الجامعة.

معاوناتي اللواتي امننا لي مساعدة قيمة لتشكيل فريق عمل متجانس: هنا ناصيف، مساعدتي منذ اليوم الاول لتاسيس المعهد، ميشال اسمر التي انضمت الينا بعد ثلاث سنوات و السيدة كريستيان بخاش التي خلفت السيدة ماري شعيا عوض.

و لا انسى اصدقائنا الكنديين من معهد ادارة المؤسسات الصحية و الصحة العالمية من جامعة مونتريال الذين دعموا هذا المعهد منذ بدء عمله. كما لا انسى زملائي الفرنسيين من مستشفيات فرنسا ومن الضمان الاجتماعي الفرنسي الذين اكملوا معنا الطريق.

واسمحوا لي ان اخص بالذكر ايضا ثلاث اعمال تعاون يستحق ذكرها و شكر فاعليها لانهم راهنوا في اعطائنا ثقتهم:

مدنت بشخص مديرها العام السيد منير خرما و مساعدته السيدة اميرة عيد

كلية الطب في الجامعة اليسوعية بشخص عميدها الفخري البروفسور بيار فرح و عميدها الحالي البروفسور فرنان داغر .

كلية ادارة الاعمال في الجامعة اليسوعية بشخص عميدها الفخري البروفسور جورج عون و عميدها الحالي البروفسور طوني جبيلي .

عزيزي الاب شاموسي، ان حسك للاصغاء و صداقتك شكلوا لي دعما اساسيا و مهما. لقد ساهما في تثبيت رجائي في الاوقات الصعبة التي نعرفها.

احيانا كنت اخاف ان ارهقك، و لكن ارادتك الصبورة و عزمي ساهموا في تحديد خصوصية هذا المعهد.

عشر سنوات هي مدة طويلة لترسيخ فكرة مهمة، و هي قصيرة لتاكيد ديمومة عمل، و لكنها كافية للاقناع بجدوته.

ان الخبرتين اللتان عشتهما في القطاع الصحي- خبرتي في لبنان ١٩٦٢-١٩٦٦ و خبرتي في فرنسا ١٩٦٦-١٩٩٦- اقنعاني بضرورة ترافق ثلاثة افعال من اجل نجاح هذه المهمة.

اولا: خلق مركز ابحاث و تدريب عملي مشترك الاختصاصات في هذا القطاع

ثانيا: فصل العلوم الصحية عن الطب، اذ ان الصحة تخص اشخاص عدة على خلاف الطب الذي يعنى به فريق محدد.

ثالثا: تطوير الرعاية الاجتماعية استنادا للمفهوم الواسع للصحة و الذي يقر بان صحة الفرد قد تتعرض للخطر اذا لم يكن هنالك عدالة اجتماعية.

خلق معهد الادارة الصحية و الرعاية الاجتماعية: لهذا المعهد بضعة خصائص.

- تسهيل الابحاث التطبيقية – التمكن من معلومات علمية جديدة- في مختلف قطاعات الصحة ابتداء من عيادة الطبيب مرورا بالادارات الصحية و القرارات السياسية.

هذه الابحاث التي تسعى الى العمل التطبيقي هي مفيدة للمواطن و تساهم في التحول الحسن للمجتمع.

- هو لفائدة المواطن الذي يسعى للصحة: ان المعهد هو مكان للحوار المشترك الاختصاصات، لا اقصد طاولة حوار، بل حوارا جديا يندرج بالمفهوم الذي حدده شارل مالك سنة ١٩٧٥ للحوار:

- الاحترام التام المتبادل بين الافرقاء المتحاورة
- الحرية التامة
- الحقيقة في كل شيء
- الارادة الحسنة

-تطوير ممارسة العمل المشترك الاختصاصات او ما نسميه اليوم Transversalité.

شخصيا افضل ان استبدل هذان المفهومان بالقول بان العهد **هو مكان تعليم الترابط المنطقي** La cohérence للممارسات المهنية في خدمة صحة المواطن و المجتمع.

- لقد اعتمدنا في عملنا مقاربة مزدوجة للصحة: نظرة شاملة للحالة الصحية في لبنان، و نظرة عملية تجزء هذا الواقع في سبيل الفعالية.

- كما اعتمدنا في كل مداخلاتنا، الرجوع الى القيم العالمية و ذلك انطلاقا من شرعة حقوق الانسان: التضامن، العدالة الاجتماعية، المنالية الخ ... دون ان ننسى اهمية ضبط الكلفة.

- تقييم منهجي لكل النشاطات الصحية لاننا نؤمن بان الجمع بين الافكار النظرية و الواقع هو اجدى من جميع الخطابات.

الفصل بين علوم الصحة و الطب:

لاجيال مضت كانت تعرف الصحة بانها غياب المرض. فرحنا نعالج الامراض و نعمل على الوقاية منها على الصعيد الفردي و الجماعي. و من ثم تطورت النظافة الفردية والعامة مع الاعمال الصحية الاخرى.

ولكن منذ التطور الصناعي و الادارة المركبة للمجتمع، اصبحت الصحة نتيجة لكل التفاعلات الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، الادارية و المالية، الخ... و اصبحت بذلك اشكالية كبيرة للمجتمع، تخص الافراد و المجموعات.

ان العلوم الصحية تعنى بالاجمال باختصاص واحد اثناء التعليم و تصبح مشتركة الاختصاصات عند العمل التطبيقي.

يحتاج لبنان لعمل دؤوب في هذا المجال.

ليس من صحة دون رعاية اجتماعية منظمة:

كما يقول الفيلسوف الفرنسي جورج غانغيلام- ان الصحة هي القدرة المديدة...لمواجهة البيئة التي يعيش فيها الفرد، جسديا، عاطفيا، عقليا و اجتماعيا.- لم يعد المواطن باستطاعته ان يتحمل اعباء الصحة بفرده دون التضامن الاجتماعي.

ان حق الصحة اصبح من حقوق الانسان، انه حق لكرامة الانسان. في الواقع انه حق للخدمات الصحية في المفهوم الواسع للكلمة..

ما زال حق المواطن اللبناني للخدمات الصحية موزع بين مشترك و مسعف.

اني احلم لجميع اللبنانيين:

- ان يشاركوا في العمل على تنمية صحتهم الفردية و صحة اخوانهم في الانسانية.
- ان يكون هناك امكانية الوصول الشامل الى جميع الخدمات الصحية من دون ضرورة مرورهم بوسيط اداري متسلط او بوسيط سياسي مذل.

يتطلب تحقيق هذا الحلم وقتا و سلطة تسهر على تحقيقه، و لكم اردت ان يكون هذا المعهد هو الساهر على تحقيق هذا الهدف. لذلك اقترحت في تموز ٢٠٠٤ اشادة مرصد للصحة – ابحاث، تدريب و اعمال تطبيقية.

اما بالنسبة للرعاية الاجتماعية فاني اتوقع انه بمساعدتكم سوف انجح بتحقيق بعض الاهداف في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

في الختام،

اني سعيد لانني استطعت ان اطلق هذه الاعمال الثلاثة،

لقد كان لبنان بالنسبة لي محل ولادتي،

بعد سفري الى فرنسا، صار لبنان بالنسبة لي مصدر قلق و خدمة،

منذ ١٩٩٧ ظل لبنان مصدر قلق و لكنه اصبح لي مركز حياتي،

و اني اشهد بسعادتي للفرصة التي سنحت لي ان اتعرف الى لبنانيين ما زالوا متعلقين بالقيم الروحية و الاجتماعية،

لبنانيين يعملون على خدمة الفقير و المريض، لبنانيين يحبون وطنهم الحقيقي بالرغم من مصاعبه.

اصدقائي اليسوعيين، اشكركم لانكم اهديتموني الروحانية اليسوعية التي تتلخص بخدمة الفقير، بقيمة الانسان، بممارسة الاصغاء، و ممارسة التمييز...

كما اشكر كل واحد منكم لانكم كنتم لي عونا في تطوري المتلاحق.

اني اتمنى الحظ السعيد لمعهد الادارة الصحية و الرعاية الاجتماعية

و الان اتوجه اليكم، اعزائي الطلبة،

سوف تحصلون اليوم على شهادتكم الجامعية

لقد عملتم باجتهاد رغم الاوضاع الصعبة التي مر بها لبنان و مع ذلك نجحتم.

لقد كنتم قدوة في الكفاءة و التشبث و الارادة القوية التي تسعى لتحسين نوعية عملكم.

من خلال حماسكم، ساعدتمونا لان نحسن اداءنا.

تقبلوا تهنئتنا و ليسعد اهلكم بهذا النجاح.

صفقوا للمتخرجين الجدد.